

منبر المحراب

التفكير:

السنة السادسة عشرة

العدد ٩١٩ - ٢٩ / محرم / ١٤٣٢ هـ

الموافق ٤ / كانون الثاني / ٢٠١١ م

«فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَدَعَوَاتِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ»

مباحث الموضوع الرئيسية:

- مبادئ التفكير والخشوع لله تعالى.
- التفكير في الدنيا والآخرة ودعوات الأنبياء.

الهدف:

التفكير هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله تعالى.

تصدير الموضوع:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِذَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

رسول الله، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: ويحك يا بلال! ما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِذَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

ثم قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها».^(١)

لا شك ان التفكير هو الوسيلة الأقصر والأسرع لنا لبلوغ معرفة الله وسائر المعارف الضرورية لنيل الكمال الإنساني، ولذلك جرى التأكيد عليه كثيراً في القرآن الكريم. منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.^(٢)

فيم يتفكر:

قد يكون التفكير في آيات الله، وقد أشارت إلى ذلك الكثير

عن عطاء أن عبيد بن عمير سأل عائشة أن تخبرنا عن أعجب شيء من رسول الله ﷺ، قال: فبكت وقالت: كل أمره كان عجباً، أتاني في ليلتي حتى مسّ جلدي جلده، ثم قال: ذريني أتعبد لربي عز وجل. فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي، فبكي حتى بلّ لحيته، ثم سجد حتى بلّ الأرض، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح، فقال: يا

(١) المحجة البيضاء، ج ٨، ص ١٩٤
(٢) (آل عمران ١٩١) والآيات: ٢١/٢٤ من الروم

(٣) الكافي ج ٢، ص ٥٤، ح ٢، مشكاة الأنوار، ص ٨١



إليه يصعد الكلم الطيب

من الآيات في القرآن الكريم، منها:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. (١)

وهذا تفكر يبعث على معرفة الله وتوحيده، ويذكر بالوظائف وضرورة الطاعة والإيمان للخلاص من العذاب.

- وأحياناً يكون التفكير في نعم الله وآلائه، مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. (٢)

وأحياناً أخرى يكون التفكير في كتاب الله، أو في الدعاء والمناجاة والصلاة. كما عن

النبي ﷺ في وصيته لأبي ذر (رض): «يا أبا ذر، ركعتان مقتصرتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه». (٣)

- ومرة رابعة يكون التفكير في النفس ومهالكها وأسباب علاجها ونجاتها عن حبة العرني قال: بينما أنا ونوف نائمين في رحبة القصر، إذ

نحن بأمرير المؤمنين ﷺ في بقية من الليل واضعاً يده على الحائط شبيه الواله، وهو يقول: «إن في خلق السموات والأرض....»، قال: ثم جعل يقرأ هذه الآيات، فقال لي: أراقد أنت يا حبة أم رامق؟ قلت: رامق، هذا أنت تعمل هذا العمل فكيف نحن؟ فأرخى عينيه فبكى، ثم قال لي: يا حبة، إنَّ لله موقفاً، ولنا بين يديه موقفاً، لا يخضر عليه شيء من أعمالنا. يا حية، إنَّ الله أقرب إلي وإليك من حبل الوريد. يا حبة، إنه لن يحجبني ولا إياك عن الله شيء.

قال: ثم قال: أراقد أنت يا نوف؟ قال: قال: لا يا أمير المؤمنين، ولقد أطلت بكائي هذه الليلة. فقال: يا نوف، إن طال بكأوك في هذا الليل مخافة من الله تعالى قرّت عينك غداً بين الله عز وجل....» (٤)

خاتمة حول الغاية من التفكير:

إنَّ أعظم الأمراض التي يُصاب بها الإنسان في هذه الدنيا. هي أمراض النفس وأمراض القلوب التي ذكر القرآن الكريم أنَّ الناجين والفائزين هم أصحاب القلوب السليمة من الآفات والأمراض ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ وأمراض القلوب أشده موتها، ثم القلوب القاسية، ثم القلوب الغافلة، وفائدة التفكير أنَّه منبّه للقلب ليستيقظ من غفلته، واليقظة هي أول منازل السلوك وهذا ما أرشد إليه أمير المؤمنين ﷺ بقوله: «نبّه بالتفكر قلبك».

(١) (آل عمران ١٩٠ - ١٩١)

(٢) (الروم ٢٤)

(٣) (البihar، ج ٧٧، ص ٨٢)

(٤) (البihar، ج ٤١، ص ٢٢)

